أطفالنا والرسوم المتحركة...أو توجس من غزو العقول الطرية.

-دراسة نقدية للرسوم المتحركة من منظور نفسي واجتماعي وفلسفي -

الأستاذ قويدري الأخضر

جامعة عمار الثليجي – الأغواط –

تمهيد:

يمتاز الأطفال بخصوبة الخيال ومرونة القدرات العقلية،ذلك أن المقولات المنطقية التي تحدد عقولهم في أطر عقلانية محدودة لا تتكون إلا في فترة ما بعد السن السابعة حسب رأي جون بياجي[1] ,وبالتالي فإنهم في مرحلة طفولتهم المبكرة الممتدة من مرحلة ما قبل المفاهيم-من2س حتى4س- الى غاية المرحلة الحدسية -من 4س حتى 7س- يكونون أوسع قابلية لما يقدم لهم من أفكار، فمرحلة الطفولة المبكرة هذه يتميز فيها خيال الطفل بالجموح،وعدم الالتزام بالواقع [2]،بالإضافة الى أن الطفل فيها لا يستطيع أن يميز بين الواقع والخيال،ولا يستطيع أن يمارس التفكير الاستقرائي أو التفكير الاستنباطي أو القيام بالعمليات المعكوسة في التفكير[3].وقد أطلق بعض الدارسين على تخيل الطفل في هذه المرحلة اسم التخيل الإيهامي الذي يختلف عن التخيل الإبداعي[4] المميز لمرحلة الطفولة المتأخرة الممتدة -من س 6حتى س12-. هذا الخيال الطفلي الخصب هو الذي يجعل المستحيل ممكنا في عقل الطفل،ومن هنا يوصف عقله الصغير -خطأ- بالسذاجة والحقيقة أنه لا سذاجة وإنما هو الانفتاح اللامتناهي الذي يؤمن بكل شيء ويصدق كل شيء دون حدود.وذلك ما لا يفهمه إلا القلة من الكبار.

إن عقل الطفل على بساطته وهشاشته ومرونته لا يدانيه في خصوبة الخيال،إلا عقول كبار الفلاسفة والعلماء والشعراء والأدباء -حسب اعتقاد الباحث-ذلك أن هؤلاء يشتركون جميعا -على ما بينهم من اختلافات- في نقطة جوهرية،لا يكونون بدونها ما هم عليه،ألا وهي خصوبة الخيال. فلا غرابة إذن أن يطلق بياجي على تفكير الطفل في هذه المرحلة اسم التفكير الحدسي لشدة اعتماد الطفل فيه بشكل أكبر على حواسه وتخيله اللامحدود [5].

وفي عصر يتسم بتطور مذهل لوسائل الاتصال، لم تعد الوسائل التقليدية كالكتب،وحكايات الجدة، والألعاب البسيطة التي يمارسها مع أقرانه والأنشطة المدرسية هي الروافد الوحيدة في ترفيه الطفل وتربيته وتنمية لغته وخياله، وقدراته العقلية الأخرى، بل أصبحت الأنشطة التربوية،و الأفلام الكرتونية،والبرامج المختلفة، المعروضة على شاشة التلفزة والفيديو والانترنيت من بين أحدث الوسائل العصرية الفاعلة الى حد بعيد في تحقيق تلك الأهداف.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الرسوم المتحركة كإحدى المضامين التلفزيونية غدت أكثر المتع التلفزيونية التي يتهافت عليها الأطفال الى حد الإدمان،ومن هنا تتجلى أهميتها في كونها تطرح أمام الباحث عدة إشكاليات يمكن إبرازها من خلال التساؤلات الموالية:

1-ما هو دور هذا النوع من الأفلام في تنمية قدرات الأطفال العقلية خاصة فيما يتعلق باللغة والتخيل؟

2-وما هو أثرها في عملية التنشئة الاجتماعية،وتكوين منظومة القيم لديهم؟

3-ثم إذا كانت أغلب تلك الأفلام مستوردة من الغرب فهل هذا يعني أنها تحمل أيدلوجيات وقيما اجتماعية معينة،تشكل خطرا ثقافيا على أطفالنا ؟.

أولا: التلفزيون ومشكلة النمو اللغوي والخيالي لدى الطفل:

لقد ذهب بعض الباحثين المهتمين بأدب الأطفال الى أن الفيلم يعتبر وسيلة ناجحة في ترقية أدب الطفل لأنه يجمع بين الصورة والصوت6.وبما أن هذا الزمن هو زمن تكنولوجيا الاتصالات المتنوعة فإن من المفيد جدا أن نوظف هذه الوسائل في الميدان التعليمي عموما وفي المجال اللغوي على وجـــه الخصوص وذلك بتقديم قصص للأطفال على شكل أفلام أو برامج،تثقيفية وتربوية يكون العنصر اللغوي مبرزا فيها وبالتالي نساهم في ما يطمح الأدباء في إيصاله الى الطفل وبوسيلة عصرية هي التلفزيون أو الوسائل السمعية البصرية الأخرى.فلغة الصورة تعطي دفعا الى نشاط الطفل العقلي[7] مثل تكوين عادة القراءة، بشرط أن تكون تلك الأفلام جيدة الإعداد والإخراج والتقديم[8].

و تعتـــبر الرسوم المتحركة من بين أبرز الأفلام التي ينكب الأطفال على مشاهدتها لما تتضمنه من حيوية،ونشاط،وتداخل في الألوان،وغرابة في الأحداث.لذا فإنها وسيلة إعلامية وعلمية ناجعة في تحقيق ذلك الغرض زيادة على دورها الترفيهي والتربوي.

غـــير أن هناك فريق آخر من الباحثين في علم النفس،وعلم الاجتماع يتحفظون من المضمون التلفزيوني عامـــة والمقـــدم مـــنه للأطفـــال على وجه الخصوص،إذ أنهم لا يرون في تلك الأفلام ذلك الجانب الإيجابي المذكور،فالصـــورة المقروءة أي الكتاب أفضل بكثير في تنمية لغة الطفل وخياله من الصورة المرئية أي الفيلم لأن الذي يقرأ، يخلق صورة خاصة في مخيلته أما الذي يشاهد الصورة فانه يظل أسيرا لها[9] ومن هذا المنطلق فان التلفزيون يأسر الخيال في حين أن الكتاب الجيد ينبه الذهن ويحرره في الوقت نفسه [10].

وقـــد ســـجلت صاحبة هذا الرأي–وهي الأخصائية الاجتماعية الأمريكية *ماري وين*– أسفها على ما آل إليه حال الأطفال في هذا الجانب بســـبب إدمانهم على التلفزيون من خلال تجربة حية عاشها أحد مدرسي الأطفال في أمريكا،حيث يقول: حينما أقرأ لهم قصة من دون أن اعرض عليهم صورا يشكوا الأطفال قائلين:لا نستطيع أن نرى. ويفتر اهتمامهم ويبدءون عندئذ في الكلام والحركة دونما هدف،وأشعر في الحقيقة بضرورة تطوير مهارات التخيل لديهم،وأقول لهم ليس هناك ما يرى،وأن القصة كلها تصدر من فمي،وأنهم يستطيعون أن يكونوا صورهم الخاصة في خيالهم [11]. ثم يؤكـــد هـــذا المـــدرس أن طريقته في تعويدهم على الاستماع إلى القصة ساهمت في تحرير خيالهم فيقول:إن قدراتهم على التخيل تتحسن بالممارسة،لكن الأطفال لم يكونوا قط في حاجة الى تعلم التخيل قبل التلفزيون[12].

إن الـــنص –وكمـــا هـــو ملاحظ–جدير بالتحليل لما ينطوي عليه إشكاليات تمس الجانب الببيداغوجي والنفســـي والإعلامي.فالتلفزيون كوسيلة إعلامية لا يخدم –دائما– الجانب التربوي ولا النفسي للطفل لأنه– حسب ما سبق –يعطل خيال الطفل ويأسره.و النتيجة هي ما ورد في آخر النص من أن جيل ما قبل التلفزيون كان أوسع خيالا من الجيل التلفزيوني،مما يعني أن التجربة التلفزيونية لا توسع الخيال،ولا تعزز النمو الفظي،لأنها لا تتطلـــب أي مشاركة لفظية من جانب الطفل،بل تتطلب الاستقبال اللفظي وحده [13]. ولحل هذه المشكلة تقترح الباحثة العودة الى ثقافة القراءة بدلا من ثقافة المشاهدة [14].

إن تجربة القراءة ورغم أنها أقل إثارة إذا ما قورنت بالمشاهدة التلفزيونية،إلا أنها أغنى وأكثر فائدة حيث أنها تمنح الطفل صور ا ذهنية معقدة عن كل كلمة يقرأها فتحفز عنده الإبداع والتخيل[15] في حين يفرض التلفزيون عـــلى الطفـــل أن يظـــل خانعا لما يعرض عليه من صور،وبذلك لا يعتبر التلفزيون وسيلة من وسائل التطور اللفظي،ولا التخيلي عند الطفل[16].

وقـــد بدا لفريق آخر من الباحثين أن الصوت الإذاعي يمكن أن يحقق الأهداف التي لا يستطيع التلفزيون تحقيقها.فالمضمون الإذاعي يعتمد على الصوت والسمع،وهذا الأمر مفيد للغاية في استثارة خيال الطفل،بحيث

يمكـــنه مـــن أن يعيش في أحداث البرامج الإذاعية،ومن ثمة بسط خياله التوهمي الى أقصى الحدود،وهذا ما لا يتاح له إذا ما شاهد البرنامج نفسه في التلفاز[17].

فالـــتلفزيون يفرض على ذهن الطفل قيودا تحد من انطلاقه-،عندما يقدم له الصورة جاهزة بينما يسمح له الصوت أن يرسم بعقله الصور اعتمادا على المضمون المسموع [18].

بيد أن الإخراج الإذاعي للأطفال أصعب بكثير من إخراج البرنامج التلفازي لأن على المخرج الإذاعي أن يعوض الحاسة الناقصة وهي البصر وأن يخلق الصور في ذهن الطفل ويمده بالعوامل التي تساعده على تخيلها[19].

إن إثـــارة المشكلة التلفزيونية،ضمن الحديث عن أفلام الرسوم المتحركة أمر تفرضه إجراءات هذه الدراسة،لأنه لا يمكن الحديث عن أثر تلك الأفلام على الأطفال دون أن نحلل الوسيلة البارزة في بثها،وهي التلفزيون،علما بأن الحكم يشمل الوسائل الأخرى السمعية البصرية المشابهة له مثل الفيديو،والسينما،والانترنيت.

لكن وبالرغم من كل ما ذكر عن مثالب التلفزيون فان الأمر المسلم به هو أنه لا يمكننا التراجع عنه ولا عـــن مضـــامينه الخاصة بالأطفال، واستبدالها بالكتب أو بالبرامج الإذاعية،أو بالقصص التي تحكى من طرف الأولـــياء والمعلمين،ذلك أن أطفال اليوم-وبكل صراحة-خلقوا لزمان غير زماننا وزمانهم هو زمان التدفقات العلمـــية في ميادين الاتصال والإعلام التي يعتبر التلفزيون ابسطها.فإذا أردنا أن نعيدهم إلى وسائل تتعلق بزمن مضى –خاصة فيما يتعلق- بمتعهم وترفيهاتهم-كنا كمن وقف ضد التيار.

لقد أصبحت الرسوم المتحركة وغيرها من الأنشطة التربوية والثقافية المبثوثة عبر التلفزيون وشرائط الفيديو وأقراص c d والانترنيت جزءا لا يتجزأ من اللعب الثقافي للطفل ولا شك أن منع الطفل منها-باعتبارها لعبا إن لم نقل ثقافة بمعناها الشامل- يعتبر تصرفا قمعيا،وكلنا يعلم أن منع الطفل من اللعب يؤدي الى ردود فعل ســـلبية مـــن قبله إذ أنه سيندفع الى القيام بأعمال انتقامية،تجاه نفسه،أو تجاه الآخرين،مثل شعوره بالنقص بين أقـــرانه،أو رفضه التحكم في البول،أو المبالغة في الحديث عن نفسه،أو الكذب.[20].ثم إن التلفزيون قد غدا من الوســـائل التي لا غنى عنها في تثقيف طفل اليوم،وتسليته وتنمية الابتكار لديه ويتم ذلك من خلال طرق شتى مـــن بيـــنها تقديم أفلام الكرتون التي تركز على الخيال العلمي،وقصص المخترعين العلميين واستعراض سيرة حياتهم وطفولتهم لخلق القدوة لدى الأطفال في هذا المجال [21].

ولاشك أن هذا الرأي يقودنا الى مناقشة مشكلة أخرى وهي:

إلى أي مـــدى تســـاهم القصص الخيالية في تنمية روح الابتكار عند الأطفال ؟أو لا تكتنفها مخاطر تمس الجانبين النفسي والاجتماعي في شخصياتهم ؟

ثانيا: الآثار النفسية والاجتماعية للأفلام والقصص الخيالية:

لقد اعتبر فريق من الباحثين القصص الخيالية التي تحكى للأطفال أو تبث على شكل أفلام على أنها خطر على الأطفال إذ أنها تضخم خيالهم إلى حد إخراجهم عن الواقع.

فـــأفلام مغامرات الفضاء مثل كليندايزر،وأبطال الديجتال،وأبطال البوكيمون،أو أفلام بات مان، وسوبر مـــان، والنينجا، وغيرها ما هي إلا قصص خيالية، مفعمة بالعنف والإثارة اللاواقعية،وكلنا يعلم أن القصص الخيالـــية في عمومهـــا ســـواء كانـــت مقروءة أو مسموعة أو مرئية تمثل للأطفال ما يتوقون الى تحقيقه في حـــياتهم،وقد يتعدى هذا الانفعال المؤقت عند المشاهدة ليظهر في سلوك المحاكاة العنيفة الذي يقوم به الأطفال لتقلـــيد تلـــك الشخصـــيات [22].ويمكن تلخيص بعض سلبيات تلك القصص كما تصورها أحد الباحثين[23] كالآتي:

1. قـــد تكـــون اتجاها هروبيا نتيجة الحلول اللاواقعية التي يراها الأطفال بدلا من مواجهة المشكلة بحلول واقعية.
2. ترسخ فيهم تمجيد البطولة الفردية على حساب البطولة الجماعية.
3. تزين لديهم العنف والخروج عن القوانين الاجتماعية كما يفعل أبطال تلك القصص.
4. تغـــرس معـــاني الخـــوف عند فئة من الأطفال24 وتخلق فيهم صور بشعة مخيفة تلاحقهم في يقظتهم وتروعهم في أحلامهم،فتضطرب أعصابهم،وتعقد نفسياتهم،ويقعون فريسة الجبن والهيار الشخصية [25].

لكـــن لا ينبغي أن نحكم على القصص الخيالية كلية بهذا الحكم التشاؤمي لأننا لو تنزلنا إلى مستوى تفكير الأطفال لوجدنا أنهم يميلون إلى أفلام المغامرات عموما والخيالية خصوصا ميلا لا يمكننا إثناؤهم عنه.و قد فسر بعـــض علماء النفس هذا الشغف بالقصص والأفلام الخيالية بكون الطفل يبحث في عقله اللاواعي عن نموذج متفرد لبطل إيجابي يجمع بين مزايا العقل والذكاء والنباهة الى جانب القوة الجسدية التي تمكنه من تحقيق رغباته الجامحة [26].

بالإضـــافة إلى هـــذا فـــان تلـــك الأفلام قد تفتق القدرات الابتكارية للأطفال الذين تستهويهم الخوارق والمخترعات،وقد تكون تلك الأفلام البذور الأولى لإبداعات تستفيد منها البشرية –ففي وسع المخيلة البشرية إفـــراز هذيـــان كـــثير حيـــنما لا تكون تحت سلطة العقل والمنطق [27].ومن ذاك الهذيان قد ينبجس الإبداع الحضاري .

فإذا تبين لنا مما سبق أن تلك المغامرات الخيالية المبثوثة عبر التلفزيون–أو غيره من الوسائل الأخرى - لا تـــنطوي عـــلى العناصـــر السلبية فقط،فان هذا لا يعني التساهل في تقديمها للأطفال لأن مخاطرها الآنفة تظل قائمـــة،ولذا يجب ترشيد مشاهدتها من طرف الأولياء والمعلمين،والمربين عموما،الذين تقع على عاتقهم مهمة تبيين حدود ذلك الخيال للأطفال حتى يميزوا بين ما هو خيال صادق محفز على الإبداع والابتكار،وبين ما هو خيال كاذب ممقوت لا يجوز الاقتداء به [28].

ثالثا:أثر الرسوم المتحركة في التنشئة الأخلاقية والاجتماعية للأطفال.

لقد ثبت أن لوسائل لأعلام دور بارز في التنشئة الاجتماعية،لدى الكبار والصغار.ومما لاشك فيه أن الطفل يكتسب منظومة القيم من عدة روافد اجتماعية،أهمها التلفزيون الذي أصبح ينافس الوسائل التربوية التقليدية في إكساب القيم للناشئة.

فالفرق شاسع في تعليم الطفل معنى من معاني الخير بطريق مباشر على شكل أوامر ونواهي،وبين تعليمه ذات المعنى عن طريق القصص الدينية أو التاريخية المقروءة أو المسموعة.

ثم إنه إذا أخذت القصص المكتوبة،أو المسجلة في الذاكرة الشعبية وصيغت على شكل رسوم متحركة تتناسب ونفسية الأطفال وميولهم كان لها صدى متميزا في تحقيق الأهداف الأخلاقية إلى يحددها المربي.

إن أفلام الرسوم المتحركة،تمتاز بالحيوية،والحركية،وتداخل الألوان، والإثارة،والتحرر من سلطة الواقع –في كثير من الأحيان–وهي ذات الخصائص التي يرغب فيها الأطفال،ويشرئبون إليها،وبالتالي فان تمرير قيم أخلاقية عبر تلك الأفلام يلقى من النجاح ما لا يلقى في غيرها من الوسائل.

إنه لمن اليسير والممتع في الوقت نفسه–مثلا– أن نعلم الأطفال قبح النميمة،و بشاعة زرع الفتن بين الناس،من خلال فيلم يقص حكاية ثعلب يسعى لزرع الفتنة في الغابة،ثم تكتشف الحيوانات أمره فينبذوه،ويقاطعوه،ولا يسمحوا له بالانضمام إليهم إلا إذا اعترف بخطيئته،وعاهدهم على أن لا يعود الى مثل تلك الأعمال القبيحة مرة أخرى.

إن هذا البعد الأخلاقي المنطوي في هذا الفيلم، يستطيع جل الأطفال استيعابه،وقد يتأخر فهمه عند البعض،ولكن من المؤكد – حقيقة– أن صورة القصة وأحداثها سترسخ في تلك الذاكرات الطرية الى غاية الوقت التي يستطيع فيه أصحابها تجريد المعنى من القصة المحفوظة،وتوظيفه بحسب المواقف التي يتعرضون لها.

إن تكوين الجانب الأخلاقي في شخصية الأطفال إذن، يمكن أن يتم عبر أفلام مستلهمة من قصص دينية وتاريخية من شأنها أن تساهم في تغذية الشعور الديني،و الوطني والاقتداء بالصالحين والأبطال والمصلحين [29] .وان حسن استلهام تلك المعاني من مصادرها وإخراجها عل شكل أفلام للصغار يساهم أيما إسهام في نموهم الأخلاقي والاجتماعي.

لكن يجب لفت الانتباه إلى أن الدور الإيجابي لأفلام الرسوم المتحركة في بنا ء الأخلاق لدى الأطفال لا يتأتى –طبعا–إلا إذا كانت تلك الأفلام متضمنة لأبعاد أخلاقية واجتماعية سامية منسجمة ومنظومتنا القيمية،أما إذا كانت غير ذلك فإنها ستكون–دون شك–معاول هدم للقيم،وطرقا عصرية في تكريس الفساد والانحراف خصوصا وأن ما يقرأه الأطفال في هذه المرحلة وما يشاهدوه سيؤثر سلبا أو إيجابا في تحديد معالم شخصياتهم مستقبلا[30] ذلك أن نمو السلوك الخلقي عندهم يتأثر عن طريق رؤية النماذج[31] أو التماهي الذي يعني تقمص شخصيات معينة في تصرفاتها [32]

رابعا:المخاطر الأخلاقية والأيدلوجية لأفلام الرسوم المتحركة :

يهتم فلاسفة التربية بوضع الأهداف التربوية- المزمع تنفيذها في الحقل التربوي أيا كان موقعه-انطلاقا من عـــدة مصادر أهمها على الإطلاق أيدلوجية المجتمع الذي يتواجدون فيه[33].وإذا علمنا أن لكل مجتمع أيدلوجيته الخاصـــة به،تأكد لدينا –ضرورة-أن فلسفة التربية مختلفة من مجتمع لآخر.هذه الفلسفة التي يسعى المخططون التربويون الى تنفيذها بشتى الوسائل من بينها وسائل الأعلام.

ولذا فان نظرة ثاقبة ومتأنية للرسوم المتحركة،تؤدي بنا الى التأكيد على أنها ليست أفلاما موجهة للأطفال مـــن أجل المتعة والتسلية،فحسب،بل إنها زيادة عل كل ذلك تحمل في ثنياها فلسفة تربوية عميقة،يحددها بدقة أولئك الذين يعملون في هذا الميدان.

وبمـــا أن الإنسان الغربي هو المسيطر على ذلك إنتاج تلك الأفلام،فمن المؤكد أنه سيضمنها قيمه التي يؤمن بها،و التي يريدها أن تصل الى أطفاله،وذاك من حقه،بل من واجبه أيضا.

ولذلـــك يهـــيأ لمثل هذه البرامج في الغرب فريق من الباحثين يضم أخصائيين في التربية،وعلم النفس وعلم الاجـــتماع،والفن، حـــتى تكون تلك الأفلام محققة للأهداف التربوية،والأخلاقية،التي ينوي المخططون هناك تمريرها لأطفالهم.

وقد تكون تلك الأفلام عالمية الأهداف،متضمنة لما هو مشترك إنساني، بحيث يطلع عليها الطفل العربي أو الأمريكي،أو الهندي،أو الياباني،دون أن تشكل خطرا لا على هؤلاء ولا على أولئك.لكن الخطر يكون شديدا إذا كانـــت مضامين تلك الأفلام عبارة عن قيم اجتماعية وأخلاقية موجهة إلى مجتمع بعينه ولا يمكن تعميمها عـــلى بقية المجتمعات الأخرى،ومن هنا وجب علينا أن نتساءل :ألا يمكن أن تشكل مشاهدة تلك الأفلام- التي ينتج الغرب معظمها- خطرا أخلاقيا وأيدلوجيا على شخصية الطفل المسلم؟

إن الحديـــث عـــن الخطر الأخلاقي للرسوم المتحركة لا يمس جانبها الإيجابي الممتثل في الأهداف والقيم الإنسانية العامة،ولا جانبها الشكلي المتعلق بالألوان والحركات،والأصوات-كما سبق وأن ذكرنا-ولكن الخطر يتعلق بالمضمون الأيدلوجي الخفي الذي يمكن أن يصلح لمجتمع بعينه دون المجتمعات الإنسانية الأخرى.

ولاشك أن ثلة من المثقفين عندنا قد أدركوا بدقة تلك الفلسفة الخفية التي تنطوي عليها الأفلام الموجهة للطفل المسلم التي تشكل خطرا بعيد المدى على قيمنا،ولذلك ورد في إحدى مداخلات ندوة صحافة الطفل في العـــالم الإسلامي المنعقدة في الدوحة أن هناك قصصا تغريبية تبث على شكل أفلام جذابة للأطفال تتحدث عـــن بطولات وأعمال خارقة وخيالية للرجل الغربي من شأنها أن ترسخ روح الانهزام والتبعية للغرب في عقول أطفالنا[34].

ولا يفوتـــنا ونحـــن نتكلم عن توجسنا من الغزو الثقافي الغربي لعقول أطفالنا،أن نذكر ما أنتج من رسوم متحركة أعدت خصيصا للمساس بالكرامة العربية الإسلامية ولنأخذ على سبيل المثال فيلم القط الطائر الذي أنتجـــته شـــركة ديزني سنة 1982،وهي قصة قط غربي جاء من كوكب آخر وبإمكانه القيام بأعمال خارقة بواســـطة ســـوار يلبســـه لكـــن تظهـــر عصـــابة عربـــية تتكـــلم باللغة العربية في الفيلم وأسماء أفراد هذه

العصـــابة،أحمد،محمد،زكرياء،علي فيسرقون منه السوار ليستعملوه في أعمالهم الإجرامية،لكن الجيش الأمريكي يتدخل ويلقي القبض على العصابة العربية ويعيد السوار لصاحبه[35].

أمـــا فيـــلم رومبو فانه يعرض على شكل رسوم متحركة،فيصور هذه الشخصية القوية في صراعها مع عصابة من الفلسطينيين يقودهم مجرم اسمه وور هاوك[36].

وهناك فيلم آخر يحكي قصة عصابة مكونة من صينيين،وأمريكيين لاتينيين،تختطف أميرا عربيا ويظهر الأمير في الفيلم على أنه قاصر،ومثير للسخرية،فيستجير بشخص أوربي ليخلصه من الاختطاف ويستعين به في كل شؤونه بحيث لا يعمل أي شيء دونه[37].

إن هـــذه الأفـــلام معلـــنة المقاصد وهي موجهة للطفل الغربي حتى ينشأ على احتقار المسلمين،و التوجس مـــنهم،وبإمكان الدول الإسلامية أن لا تعرضها على شاشاتها،لكن هذا لا يكفي لإزالة خطرها على أطفالنا، لأن الـــزمن زمن العولمة وبالتالي فإن القنوات العالمية الآن مفتوحة أمام الجميع،بل إن هذه الأفلام تعرض على الانترنيت وتباع على شكل أشرطة فيديو،وأقراص c d ،مما يؤكد بقاء خطرها.

أمـــا عـــن الرسوم المتحركة التي تستوردها الدول العربية من الدول الغربية والتي تحمل ثقافة باطنة وقيما خفية، فحدث ولا حرج،إذ منها تسلل السموم الأيدلوجية الغربية القريبة والبعيدة المدى.

ولـــيس مـــن المعقـــول أن نقـــول للمنتجين الغرب كفوا عن تضمين الرسوم المتحركة قيما متناقضة مع قيمـــنا،لأن ذلك جزء من استراتيجية حضارية خططوا لها وهم يسعون لتنفيذها بشتى الطرق،بل الواجب علينا نحـــن أن نســـائل أنفسنا: ما هو البديل الإعلامي والفني والتربوي الذي أعددناه لأطفالنا حتى لا تبتلعهم تلك الـــثقافات الوافدة عبر الرسوم المتحركة؟هل أنتجنا لأطفالنا رسوما متحركة تضارع في مضمونها وشكلها ما ينتجه الغرب بحيث تحمل قيمنا الخاصة ؟

خامساً:البديل المفقود:

إن الحديـــث عـــن بديـــل إعلامي يحمل بصمات القيم العربية الإسلامية،هو حديث عن بديل حضاري شـــامل.فمشكلتنا الجوهرية لا تقف عند كوننا لا ننتج أفلاما لأطفالنا تنبع من صميم أيدلوجيتنا. بل مشكلتنا أكبر من ذلك بكثير،فإنتاجنا في هذا المجال أو غيره من الميادين إنتاج هزيل،لا يفي باحتياجاتنا ولذلك نلجأ الى الغرب لنستهلك ما ينتجه.

وإذا جئـــنا نتحدث عن قضية الرسوم المتحركة المستوردة ومدى خطورة بعضها على قيمنا،وجدنا أنها لا تعـــدو أن تكون مشكلة جزئية متفرعة من معضلة حضارية،متجذرة الأصول ناقشتها-وما تزال -كل العقول الإسلامية النيرة على اختلاف تخصصاتها وما استطاعت بعد أن تفك طلاسمها حتى الآن.

ولنـــترك مشـــكلتنا الحضـــارية الكبرى جانبا، ونعود الى قضية إنتاجنا للرسوم المتحركة.فلقد سجلت محاولات جادة لاستدراك هذا العجز،ولنذكر على سبيل المثال قناة اقرأ التي شرعت منذ سنوات في بث رسوم مـــتحركة للأطفال مستمدة من تاريخنا الإسلامي،منها ما هو خاص بسيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

ومـــنها ما هو متعلق بشخصيات إسلامية.وهي خطوات جريئة ومباركة تنم عن روح التحدي.وبالرغم من أن تلـــك الأفـــلام مفعمـــة بالمضـــمون الديني والتاريخي الأصيل إلا أنها—والحق يقال-تفتقر الى جودة الإخراج الفني،حيـــث أن الصور فيها ساكنة وليست متحركة،وهذا ما يجعلها بعيدة عن اهتمام الأطفال الذين يتشوفون الى الحـــركة والحـــيوية،والإثارة.ولا أذيع سرا إذا قلت أنني-على ما أنا عليه في هذا السن - قد استفدت من تلـــك الأفـــلام كـــثيرا بحيـــث اســـتطعت أن أسترجع من خلال مشاهدتها بعض المعلومات حول تاريخنا الإسلامي،وقد وجدت نفس الانطباع ماثلا عند بعض من الزملاء المهتمين بهذا الجانب.وعبثا حاولت أن أشد ابنتي الصغيرة إليها بسبب النقائص المذكورة.

ولابـــد من التذكير إلى أن هناك بعض القنوات العربية تسعى مرارا الى دبلجة الرسوم التي ينتجها الغرب أو الشـــرق المتمثل في اليابان -خاصة — محاولة تكييف مضمونها مع ما يتلاءم وقيمنا،وقد نجحت نجاحا فائقا في ذلك،لكن تغيير اللغة والأسماء،لا يؤدي الى تغيير المضمون،ولا السلوكيات،وبالتالي فان الخطر الذي تكلمنا عـــنه آنفـــا لن يزول بعملية الترجمة،هذا إذا لم نقل أن عملية التعريب نفسها ستساهم بشكل سريع ومحقق،في إيصال بعض المضامين الأخلاقية والأيدلوجية الموجودة في تلك الأفلام الى عقول أطفالنا.

ومـــن المحزن أن نذكر أن إحدى الشركات السينمائية العربية أرادت أن تنتج رسوما متحركة تروي سيرة ســـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكلفت شركة أمريكية لذلك الغرض-لأن هذه الشركة العربية لا تستطيع ذلـــك- بعـــد أن أبرمت معها عقدا ماليا معتبرا. وأنتج الفيلم بإخراج فنان أمريكي يدعى بايان نيسنن،وكان مؤلـــف الموســـيقى أمريكي يدعى وليام كيد،ومجموعة كبيرة من الفنيين الأمريكيين.وقد تجاهل الفيلم حادثة الإســـراء والمعـــراج، ولم يتعرض لقضية اليهود مع النبي عليه الصلاة والسلام،كما لم يتطرق أصلا الى فكرة الوصـــول بالرسالة الى الأمصار.أما الطامة الكبرى فهي أن يختم الفيلم عناوينه بقوله إن هذه القصة من وحي الخيال وهي الصيغة التي اعتادها الهوليوديون في إخراجهم لأفلام الرسوم المتحركة [38].

إن هذا المشهد المأسوي على بساطته يعكس حالة أمتنا التي استضعفت في كل مجال.ولكن فجرا صادقا لا بـــد وأن ينبثق من رحم ليل بهيم،سئمت النفوس شدة ظلامه،ولعل من إرهاصات ذاك الفجر المرتقب أن نجد برامج تربوية واعدة، نابعة من قيمنا،أنتجها أبناء هذه الأمة،من شأنها أن ترتقي بأطفالنا إلى ما نصبو إليه،من عز وفخار.

الجانب الميداني :

الإشـــكالية:مـــا هـــي اتجاهات ومواقف الطلبة الجامعيين كنخبة مثقفة إزاء الرسوم المتحركة ؟وما هي تصوراتهم لمضامينها المختلفة؟

الفرضية العامة:وقد تمخضت عن تلك الإشكالية فرضية عامة هي :

إن غالبية الطلبة الجامعيين يرون في الرسوم المتحركة وسيلة تربوية وتثقيفية وترفيهية يجب تفعيلها،مع تحفظ أقلية تجاهها بسبب ما تبثه من مشاهد تشكل خطرا على الناحية النفسية والأخلاقية في شخصية الطفل. ويبقى إدراك مخاطرها الأيدلوجية التي تدخل ضمن الغزو الثقافي المستتر مبهم لدى الجميع.

الفرضيات الفرعية:

1. **الفرضية الجزئية** الأولى:هناك اتجاه إيجابي من طرف أغلب المدروسين إزاء الرسوم المتحركة من حيث كونها تسلي الأطفال،وتثقفهم، وترقي قدراتهم العقلية،خاصة الجانب اللغوي والتخيلي منها.
2. **الفرضية الجزئية** الثانية: فئة قليلة من المدروسين يدركون المخاطر النفسية والاجتماعية للرسوم المتحركة خاصة تلك التي تشجع على العنف والأعمال الخيالية الخارقة.
3. **الفرضية الجزئية** الثالثة: كل المدروسين بعيدون عن الوعي بالمضمون الأيدلوجي الذي تنطوي عليه الرسوم المتحركة المستوردة والذي يشكل خطرا ثقافيا واجتماعيا،وحضاريا، على الأمد البعيد.

أهداف الدراسة:

1. قياس اتجاه فئة من النخبة المثقفة إزاء أفلام الرسوم المتحركة التي تستحوذ على اهتمام أطفالنا.
2. التعريف بسلبيات وإيجابيات هذا النوع من الأفلام من الناحية النفسية والاجتماعية.
3. المساهمة في تعميق الوعي بالخطر الأيدلوجي الذي تخفيه تلك الأفلام،كجز من خطة إستراتيجية كبرى للعولمة الثقافية.
4. فتح حوار هادف وفعال بين المختصين في الميدان التربوي وبين الإعلاميين،من أجل تنشئة رشيدة لأطفالنا.

منهج الدراسة:اعتمد الباحث على أسلوب قياس الرأي،كأسلوب من أساليب قياس الاتجاهات.

أدوات الدراسة:

1. اعتمد الباحث: على ملاحظة،ومشاهدة جزء كبير من الرسوم المتحركة المعروضة على التلفاز من قنوات مختلفة.
2. اعتمد الباحث: على مقابلة فئة واسعة من الطلبة الذين سمحت له فرصة تدريس بعضهم إلى أن يثير معهم كثيرا من القضايا المتعلقة بالموضوع.
3. اعتمد الباحث: على استبيان يظم مجموعة من الأسئلة المفتوحة والمغلقة.

الأسلوب الإحصائي :اكتفى لباحث بأسلوب النسب المئوية.

عينة الدراسة:تكونت عينة تتكون من 200 طالبا جامعيا يزاولون دراستهم في جامعة عمار الثليجي بالأغواط من مختلف التخصصات.

زمن الدراسة:امتدت الدراسة من شهر ماي إلى غاية شهر أكتوبر من سنة 2004.

نتائج الدراسة: **الجدول رقم –1–**

	نعم	لا	لا أعرف	المجموع
هل ترى أن الرسوم المتحركة تساهم في تنمية القدرات العقلية للطفل،خاصة اللغة والتخيل	175	15	10	200
النسبة	87.5	7.5	05	100

التفسير: يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن النسبة الغالبة وهي 87.5% من العينة المدروسة ترى بأن للرسوم المتحركة دور إيجابي في تنمية القدرات العقلية للأطفال،وهذا ما كان متوقعا في الفرضية الجزئية الأولى،والسبب في ذلك يعود إلى إدراك المدروسين لقيمتها التربوية والنفسية،هذا الإدراك الذي يرجعه الباحث الى القبول المفرط الذي تحضى به تلك الأفلام لدى الكبار والصغار.

الجدول –2–

	مفيدة جدا نفسيا واجتماعيا	مفيدة نوعا ما نفسيا واجتماعيا	مضرة نوعا ما نفسيا واجتماعيا	مضرة جدا نفسيا واجتماعيا	المجموع
هل تعتقد أن الرسوم المتحركة الخيالية:	150	30	11	07	200
النسبة	76	15	05.5	03.5	100

التفسير: نلاحظ من قراءتنا لهذا الجدول أن نسبة05.5% ونسبة03.5 %من المدروسين تفطنوا الى الخطر النفسي والاجتماعي الذي تتضمنه تلك الأفلام مع تفاوتهم في تقدير ذلك الخطر لكن الملفت للانتباه حقا أن نسبة 91% سجلت موقفا إيجابيا إزاء تلك الأفلام،ورأت بأنها:إما مفيدة جدا-76 % –أو مفيدة نوعا ما –15 % –ولعل تحفظ هذه النسبة الأخيرة 15 % يخفي وراءه دلالات تجعل الباحث يتنبأ بتفطن تلك العينة إلى الأخطار النفسية والاجتماعية.وحتى لو قدرنا ضم هذه النسبة 15 % إلى نسبة الذين تفطنوا الى تلك المخاطر لكان حاصل النسب كلها 24.5%،وهي نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بنسبة76%.

وتفسير ذلك كله–حسب تصور الباحث–أن الرسوم المتحركة لها أهمية كبرى في نفوس الناس مثقفين كانوا أو غير مثقفين بحيث يصعب عليهم –والحال هذه –إدراك مخاطرها النفسية والاجتماعية. يضاف إلى ذلك عدم اطلاع الفئة المدروسة من الطلبة الجامعيين على الدراسات التي كتبت في هذا الشأن، وهي أزمة يعاني منها الطالب الجامعي الذي يفترض أن يكون واعيا بمثل هذه القضايا فاعلا إيجابيا في مجتمعه. ومما هو ملاحظ كذلك أن نتائج هذا الجدول جاءت موافقة تماما لتوقعات الباحث في الفرضية الجزئية الثانية والتي تنص على أن فئة قليلة من المدروسين يدركون المخاطر النفسية والاجتماعية للرسوم المتحركة التي تشجع على العنف والأعمال الخيالية الخارقة.

الجدول-3-

	لا تحمل أي خطر	تحمل بعض الأخطار	تحمل أخطار كثيرة	المجموع
هل تحمل الرسوم المتحركة مضامين أيدلوجية وأخلاقية تهدد الطفل المسلم	166	21	13	200
النسبة	83	10.5	06.5	100

التفسير: إن نسبة 6.5% من المدروسين فقط هم الذين أدركوا المخاطر الأيدلوجية والأخلاقية التي تحملها الرسو م المتحركة، وهذا يوحى بغياب شديد للوعي بهذا الأمر لدى جل الطلبة الجامعيين.وقد كان الباحث يتوقع غياب الوعي بهذه القضية لدى جميع المدروسين في الفرضية الجزئية الثالثة.فجاءت نسبة6.5% وهي نسبة لها دلالتها،مخالفة لتلك الفرضية الصفرية.

ويرجع الباحث سبب خفاء هذا الأمر على جل الطلبة إلى انشغالهم بقضاياهم الجامعية والاجتماعية والتي ألهتهم عن التفكير في مثل هذه القضايا الاستراتيجية.ولذلك لم يخطر في أذهان 83% ممن درسوا أن تكون الرسوم المتحركة -كأفلام ترفيهية،موجهة للصغار- وسيلة خفية من وسائل الغزو الثقافي.

الجدول-4-

	لا تنتج	تنتج	لا أعرف	المجموع
هل تنتج الدول الإسلامية رسوما متحركة تضارع ما ينتجه الغرب	*152*	*08*	*40*	*200*
النسبة	*76*	*04*	*20*	*100*

التفسير : ومما يتبين في هذا الجدول أن نسبة 76% -وهي النسبة الغالبة-من المدروسين أدركوا جيدا مدى تخلف الأمة الإسلامية في الإبداع التلفزيوني أو السينمائي عموما،ومعنى هذا أنهم يؤكدون تبعيتنا للغرب في هذا المجال كغيره من المجالات الأخرى.بينما عبر 20% منهم عن عدم معرفتهم بحقيقة الأمر،وهذا يعود الى عدة اعتبارات منها أنهم غير منشغلين بمثل هذه القضايا التي تحتاج-والحق يقال- إلى دراسات متخصصة في ميدان الإعلام والاتصال.هذا وقد أوحت نسبة 04 % بعدم وعي فئة من الطلبة بما يحدث في مجال الإنتاج التلفزيوني والسينمائي لأن المسيطر الحقيقي والوحيد على هذا الإنتاج عالميا هو الدول الغربية، واليابان نوعا ما، وبالتالي فان إنتاج الدول الإسلامية فيه،خاصة فيما يتعلق بالرسوم المتحركة،نادر حدا إن لم نقل مفقودا.

-الخلاصة:

من خلال ما جاء في هذه الدراسة-بشقيها النظري والميداني -يستخلص الباحث عدة نتائج يمكن تلخيصها كالآتي:

1. إن الرسوم المتحركة كإحدى المضامين التلفزيونية أصبحت وسيلة ترفيهية وتثقيفية وتربوية يمكن توضيفها في تنمية شخصية الطفل.بل إنها غدت الصديق الحميم للأطفال،وجزء من لعبه الثقافي مما يصعب على المربين-كيف ما كانت مواقعهم- صد الأطفال عنها،خصوصا في زمن سمي بزمن العولمة.

2. وبالرغم من ذلك الوجه الإيجابي الذي تظهر به تلك الأفلام إلا أن بعض الباحثين تحفظوا من مخاطرها التي تدخل أساسا ضمن مخاطر التلفزيون على الأطفال.فقد تعطل نموهم اللغوي بحكم أنها لا تتطلب أية مشاركة لفظية من جانبهم،كما أن النوع الخيالي منها قد يشوه رؤاهم للواقع.

3. و قد نبهت الدراسة الى الخطر الأيدلوجي والأخلاقي الذي تحمله الرسوم المتحركة المستوردة،والتي ليست مجرد أفلام تسلية وترفيه-كما يظن البعض- ولكنها تدخل ضمن الأسلحة الخفية المستعملة في الغزو الثقافي.وقد أشارت الدراسة إلى أن الدول الإسلامية كان بإمكانها تجنب هذا الخطر لو أن لديها إنتاجا محليا كافيا يفي بحاجياتها ويغنيها عن استيراد ما يهدد كيانها.

4. أما الجانب الميداني فقد كان استطلاعا لرأي عينة من طلبة جامعة عمار الثليجي بالأغواط-الدولة الجزائرية-بحيث تمكن الباحث من قياس مواقفهم إزاء مجموعة من القضايا تتعلق بموضوع البحث.

التوصيات والاقتراحات:

1 –تنبيه المشرفين على برامج الأطفال الى ما تحمله أفلام الرسوم المتحركة من مخاطر مستترة،بينتها هذه الدراسة بوضوح.وذلك بإرسال نسخ من هذه الدراسة وغيرها من الدراسات المشابهة،الى مركز الإذاعة والتلفزيون الجزائرية،حتى تكون الجامعة بما تنظمه من ملتقيات،مشاركة في ترشيد المختصين متعاونة معهم في علاج القضايا الاستراتيجية التي تهم الأمة الجزائرية،خاصة،والإسلامية عامة.

2-تنبيه المربين –معلمين كانوا أو أولياء أمور- من خلال هذا الملتقى الى ضرورة إدراك مسئوليتهم تجاه ما يشاهده أطفالهم،من أفلام، أو برامج بحيث تعقد معهم من حين لحين جلسات يتحاورون من خلالها معهم حول ما يشاهدون فيثمنوا المفيد،ويحذروا من الضار.إن هذا الحوار،داخل الأسرة –خاصة- يقضي على الجفاء والتباعد الذي يعاني منه الأفراد داخل الأسرة الواحدة والذي يعتبر التلفزيون أحد أسبابه.وليس هناك من يدفع ثمنه إلا الأطفال.

3-تشجيع الأطفال على المطالعة الهادفة،التي من شأنها تنمية قدراتهم العقلية خصوصا اللغة والتخيل.

4-تنظيم أوقات مشاهدة الأطفال البرامج الخاصة بهم ومن بينها الرسوم المتحركة.حتى لا يستأثر التلفزيون بكل اهتماماتهم،ويصبحون في علاقتهم معه مدمنين أو كالمدمنين.

الهوامش:

1-أنظر عبد المجيد سيد أحمد زكرياء أحمد الشربيني،علم النفس الطفولة،دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 1998 ص،ص 246 245

2-رعاية نمو الطفل،علاء الدين كفافي،دار قباء للطباعة،والنشر والتوزيع،ب م،ب،1998،-34.

3-زكرياء الشربيني،يسرية صادق،نمو المفاهيم العلمية للأطفال،دار الفكر العربي،القاهرة،2000 ص87

4-أظر مجدي محمد الدسوقي،سيكولوجيا النمو من الميلاد الى المراهقة،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،2003،ص128

5 -م س،ص 250.

6-ممدوح القديري،أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل،مركز الحضارة العربية ب،م،ط، ط1999،1 ص32.

7-سرجيو سبيني،التربية اللغوية للطفل،تر،فوزي عيسى،عبد الفتاح حسن،دار الفكر العربي، القاهرة، 2001 ص130.
8-حسن شحاتة،قراءات الطفل،الدار المصرية اللبنانية،ط2000،4،ص32.
9-ماري وين،الإدمان التلفزيوني، ترجمة عبد الفتاح الصبحي،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت عدد 1999،247،ص 73.
10-م س.
11-م س،ص74.
12-م س.
13-م س،ص19.
14-م س،ص86.
15-إبراهيم العاسمي،هل طفلك مدمن على التلفزيون؟مجلة العربي،وزارة لإعلام، الكويت عدد،507، 2001،ص ص، 175،176 بتصرف.
16-م س.
17-ممدوح القديري،أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل،ص71.
18-محمد صديق محمد حسن،الطفل بين التربية والتثقيف،مجلة التربية، اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم،عدد 1993،106،ص78.
19-م س،ص79
20 -رأفت محمد بشناق،سيكولوجيا الأطفال،دار النفائس،دمشق، ط1، 2001،ص315.
21-محمد صديق محمد حسن،الابتكار وأساليب تنميته،مجلة التربية،، اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم عدد1993،11،ص 78،
22 -كمال الدين حسين،فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية، 1999،ص34.
23-ممدوح السيد حلاوة،الأدب القصصي للطفل من منظور اجتماعي نفسي،المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية،2003،ص 88.
24-زكرياء عدناني، الأدب القصصي للناشئة،، كلية رياض الأطفال، الإسكندرية،1997،ص33.
25-أنظر عبد العليم إبراهيم،الموجه الفني لمدرس اللغة العربية،دار المعارف بمصر، 1966،ص359.
26-سامر خالد مني،الخيال والأسطورة ودورهما في بناء عقل الطفل،مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم،الدوحة،قطر،العدد2002،143، ص209.
27 -بيار غريمال،الميثيلوجيا اليونانية،تر،هنري زغيب،منشورا عويدات،بيروت،باريس،ط1، 1982، ص108
28-أنظر سامر خالد مني، الخيال والأسطورة ودورهما في بناء عقل الطفل،مجلة التربية،ص21 بتصرف.
29-زكرياء عدناني الأدب القصصي للناشئة،ص26.
30-شعيب العياشي،صحافة الأطفال في الوطن العربي،عالم الكتب،بدون م/ط،ط2002،1، ص351.
31-عبد المجيد سيد أحمد،زكرياء الشربيني،علم نفس الطفولة،338-
32-فيصل عباس، علم نفس الطفل،دار الفكر العربي،بيروت،ط1997،1،ص39.
33-مروان أبو حويج، المناهج التربوية المعاصرة،الدار العلمية للنشر والتوزيع،عمان،الأردن، ط200،1،ص19.
34-ورقة محمد أحمد حساني من رابطة العالم الإسلامي، ضمن تقرير عن ندوة ثقافة الطفل في العالم الإسلامي نشرته مجلة التربية،اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم،العدد1994،111،ص ص64،45 بتصرف.